المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 33



المخطوط العربي وعلم المخطوطات

حميد

تنسيق
أحمد شوقي بنبين

المخطوط العربي
وعلم المخطوطات



المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 33

المخطوط العربي وعلم المخطوطات

تنسيق
أحمد شوقي بنبين

1994

الكتاب : المخطوط العربي وعلم المخطوطات (ندوة)
منشورات : كلية الآداب بالرباط
الغلاف : إعداد عمر أفا
الخطوط : بلعيد حميدي
التصفيف : أنسيف الزنايدي ـ الهاتف 72.70.66 ـ الرباط
الطبع : مطبعة فضالة ـ المحمدية
الحقوق : محفوظة للكلية بمقتضى ظهير 1970/07/29.
الطبعة : الأولى 1994
ردمك : 9981-825-18-2
الإيداع القانوني : 1994/308
التسلسل الدولي : 0377-1113

طبع هذا الكتاب بدعم
من مؤسسة كونراد أدناور

المحتويات

تـقـديـم

تحتضن كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس ندوة دولية في موضوع **المخطوطُ العربي وعلم المخطوطات** أو ما يسمى **بالكوديكولوجيا**. إن دراسة المخطوط العربي على ضوء معطيات علم المخطوطات الحديث موضوع جديد لم يهتم به حتى الآن في معهد أو جامعة، وهذه سابقة علمية يمكن لكلية آداب الرباط أن تعتز بها وتفتخر. إن الكوديكولوجيا تهدف في دراسة المخطوطات إلى شيئين :

أولهما دراسة كل أثر للكتابة في المخطوط باستثناء المتن أو النصّ بالتعبير المعاصر.

ثانيهما البحث في العناصر المادية للمخطوط.

غاية هذا العلم إذن هي دراسة كلّ ما يحيط بالمتن من حواش وتعليقات وتفسيرات وإضافات ووقفيات وكل ما من شأنه أن يساعد على التعريف بالمخطوط وبصاحبه وتأريخه وبمن تملّكه وقرأه ونسخه وبكل ما له علاقة بالمحيط التاريخي والجغرافي للمخطوط، وأخيرا دراسة الوعاء وطريقة صناعته وتركيبه، كالبحث في نوع الجلد والورق والملازم وغيرها من الجوانب المادية والتقنية التي درسها علماء الفيلولوجيا بالنسبة للمخطوط الغربي وحتى بالنسبة للمخطوط العبري. وبقي مخطوطنا العربي يفتقر إلى هذا النوع من البحث والدراسة ينتظر من المهتمين بشؤون التراث من ينفض عنه الغبار لا للاهتمام والاستفادة من متنه ومحتواه فقط ولكن لدراسته كقطعة مادية بصرف النظر عن موضوعه ومادته العلمية.

إن الغاية من دراسة المخطوط دراسة كوديكولوجية هي خدمة النص الذي نحققه ونستخلص منه النظريات والأحكام. كما تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن

عدد من التساؤلات طالما حيّرت الباحثين في مجال التراث. فمثلا ما معنى الكرّاسة أو الكراس التي تستعمل في العربية منذ بداية حركة التأليف؟ هل هي كتاب أو كتيب كما جاء في استعمال القدماء، هل هي عشر ورقات كما جاء في معظم المخطوطات أو إحدى. عشرة ورقة كما جاء في بعضها أو ثمانية كما جاء في البعض الآخر؟

ما هي الفهرسة؟ ما هي حدودها؟ حتى الآن ليس لدينا تحديد نهائي للفهرسة يُجمع عليه الباحثون في مجال التراث. كيْف ظهرت التعقيبة كنوع من الترقيم في المخطوط العربي، وهل كان ظهورها في المخطوط الغربي الوسيط من تأثير المخطوط العربي؟ إن مثل هذه التساؤلات، وغيرها كثير، لا زالت تنتظر من العلماء الكثير من المعاناة والمثابرة والصبر المتواصل في البحث. ولكن أين هو هذا النوع من الباحثين؟ إن المنظمات العلمية والأكاديميات العربية لا تقوم على قدر علمنا بما يتطلبه هذا النوع من البحث والدراسة. إن معهد البحث وتاريخ النصوص الذي أنشىء في باريز لدراسة علم المخطوطات قد أحدثَ قسما خاصا بالتراث العربي، لكنه للأسف لم يدرس حتى الآن الكوديكولوجيا العربية.

إن دراسة المخطوط العربي كقطعة مادية ستمكّن الباحثين من اكتشاف جانب من تاريخ العرب الحضاري ما زال مجهولا. فعلى الرغم من عدم عناية القدماء بهذا الجانب ـ باستثناء بعض الإشارات العارضة ـ، فإن المحدثين من الفيلولوجيين وجلهم من الأوروبيين أمثال Moritz وGromann وThomas Arnold وPedersen وإيتنغاوس وتشوكين وبعض المشارقة أمثال المنجد والحلوجي هؤلاء جميعا لم يستطيعوا أن يسدوا هذا الفراغ وأن يكملوا ذلك النقص. إن هذه الندوة على الرغم من تنوّع محاورها فإنها لن تجيب عن كل التساؤلات المطروحة بقدر ما تهدف إلى تحسيس المهتمين بشؤون المخطوطات وكل الذين لهم غيرة على هذا التراث بأن المخطوط العربي وتاريخه لازال حقلا بكرا وأن البحث في عناصر الكوديكولوجيا يمثل المرحلة الأولى والأساسية في عملية نقد النصوص.

إن هذه الكلمات لا تطمح إلى أن تنوب عن العروض التي ستمتعنا بها في الجلسات العلمية المقبلة ثلة من خيرة العلماء والمستشرقين والجامعيين يُعتبرون حجة في مجال علم المخطوطات. فإليهم جميعا أقدم جزيل الشكر والامتنان على قبولهم الدعوة

ه

وتجشمهم عناء السفر. كما أتوجه بالشكر كذلك إلى السادة الوزراء الذين أمدونا بمساعداتهم وإلى السيد رئيس الجامعة وإلى ممثل منظمة كونراد أدناور الألمانية وأخيرا إلى السيد قيدوم الكلية ومساعديه الذين عانوا الكثير من أجل تنظيم هذه الندوة العلمية الدولية. وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خيره ورضاه.

الدكتور أحمد شوقي بنبين

صحيفة المخطوط العربي كموضوع للبحث والوصف

ڤاليري ڤ پولوسّين*

أريد أن ألفت النظر إلى العناصر الثلاثة التي تستعمل عادةً لوصف صحيفة المخطوط العربي، وهي :

1) مقياس الصحيفة (يعني طول المخطوط وعرضه)،

2) مقياس النص في كل صفحة،

3) عدد الأسطر في كل صفحة.

والفهارس المطبوعة للمخطوطات العربية لا يتّفق بعضها مع بعض من حيث العناصر التي اختارها مؤلفوها لجعلها ميزةً خاصةً للمخطوط. وهناك الفهارس التي تُستعمل فيها العناصر الثلاثة بأجمعها، والفهارسُ الأخرى التي يُستعمل فيها مقياسُ الصحيفة (أو الورقة) وعددُ الأسطر فقط، والفهارسُ التي تضمّ مقياسَ الورقة فقط، وأخيراً تلك الفهارسُ التي لا تضمّ إلّا عدد الأسطر.

فما هو سبب اختلاف المفهرسين وعدمِ التوافق بين الفهارس في استعمال العناصر الثلاثة المذكورة ؟

من الظاهر أن استخراج عنصرٍ ما من العناصر الثلاثة هو من أسهل أعمال الباحث الذي يصف المخطوطات. ولهذا السبب يستحيل أن يكون انعدام عنصرٍ أو عنصرَيْن في وصف المخطوط نتيجةً لسعي الباحث إلى توفير جهوده. وبرأينا، يعود سبب الخلاف بين الفهارس إلى عدم معرفتنا ـ لحدّ الآن ـ للغرض الحقيقي الذي نُدخل من أجله المعلومات الآنفة الذكر في الفهارس وكيفيّة الاستفادة منها. نعم، إن

(*) Valery V. Polossine, Institut des Etudes Orientales — Léningrad.

مقياس الورقة ومقياس النص وعدد الأسطر ـ إذا أخذناها على انفرادٍ كما ترد في بعض الفهارس ـ لا تتضمن أي علم جديد، ولا يبقى لنا إلّا أن نعتبرها كلها مجرّد صفات تميّز مخطوطاً واحداً عن غيره. ومقاييسُ الورقة مثلًا كثيرة للغاية وتتغاير من مخطوطة إلى أخرى بمقادير ضئيلة وفي نطاق واسع لدرجة أنها لا تنصاع للتحليل الإحصائي، وربما لا يمكن إجراء مثل هذا التحليل الإحصائي إلّا بواسطة الكمبيوتر. غير أنه لا بد أن يكون الباحث موقنا ـ قبل أن يقوم بالإحصاءات الالكترونية ـ بأنه لا ينفق كثيراً من الوقت والجهد هدراً، بل يستفيد منها. ومن المستحيل أن يثق الباحث في الوقت الحاضر بأية فائدة من تلك الإحصاءات.

ويجوز أن نقول نفس الشيء عن مقاييس النص المكتوب في صفحات المخطوطة. أما عدد الأسطر فتتلخّص معرفتنا هنا فيما نعرفه منذ القدم، وذلك أن العدد الفردي للأسطر في الصفحة غلب على عددها الشفعي (أو الزوجي)، ولكن ـ لحدّ اليوم ـ لا نعرف سبب أغلبيته الحقيقي.

هذا، ولو أخذنا نفس المعلومات الكوديكولوجية معاً، فيمكن أن نعتبرها نظاماً يترابط كافةُ أجزائه ترابطاً لم نكشف عن طابعه بعد. ويكون هذا النظام المفروض شيئاً طبيعياً للمخطوط العربي التقليدي الذي يبلغ تاريخه أكثر من ألف سنة. وتكفي الإشارة هنا ـ على سبيل المثال ـ إلى أن المسافة بين سَطْرَيْ النص المتلاحقَيْن تُظهِر نفسها في بعض الأحيان كوحدة قياسية يمكن أن نقيس بها لا ارتفاع النص فقط، بل وعرضه أيضاً. وإن هذه الوحدة القياسية تتّفق مع القياس الخطّي القديم الذي كان يستعمل في الدول الإسلامية في الماضي. وتتعلق المسافات بين أسطر النص مباشرةً بعدد الأسطر في النص، وكثيراً ما يفصل المفهرسون بين عدد الأسطر وبين مقياس النص ـ كما قد أشرنا إليه آنفاً ـ ويعلّقونه في وصفهم للمخطوط بمقياس الورقة. وهذا ـ على ما يبدو ـ شيء غير معقول.

إن إمكانية قياس كافة جوانب النص بوحدات الأذرعة الإسلامية القديمة تؤدي بالباحث إلى التساؤل حول إمكانية قياس الورقة أيضاً بنفس الوحدات، كما يظهر مسألة تناسب حجمَيْ النص والصفحة فيما بينهما. وبكلمات أخرى، تظهر ـ وللمرّة الأولى ـ الحاجة إلى التحليل الإحصائي لتلك المعلومات الكوديكولوجية التي كانت تُجمَّع في فهارس المخطوطات العربية طيلةَ سنوات وعقود.

أما طرائق التحليل الرياضية فإنها تطلب دقّة القياس المعيّنة. ويدلّ تصفح الفهارس على أن أوراق المخطوطات كانت ولا تزال تقاس بدقّة منقطعة النظير ـ يعني تقاس تارةً بالميليميترات، وهذا أحسن الحالات، وتارةً بدقة حتى نصف سنتيمتر أو سنتيمتر كامل.

إذا أضفنا إلى ذلك التضارب أن المخطوطات المجلّدة قد تعرّضت كلها في وقتها المناسب لقطع أوراقها في أثناء التجليد، فيمكن القول إن مقاييس الأوراق المذكورة في الفهارس والمقاييس الأصلية لنفس الأوراق تختلف اختلافاً كبيراً. ويجوز أن نقول نفس الشيء تقريباً عن مقاييس النص المسجّلة في فهارس المخطوطات.

وبهذه الصورة، فالمقاسات التي جرت، في حين من الأحيان، بدون القصد للاستفادة منها في المستقبل غير دقيقة؛ ولعلها ـ في أغلبيتها ـ عديمة الفائدة للأبحاث.

ومن الفجعة أنه أُدخلتْ مقاساتُ النص في الفهارس، وهي تقريبية وغير دقيقة؛ إذ إنه من هذه المقاسات بالذات يمكن استخراج وحدة القياس التقليدية المذكورة آنفاً. وفي الحقيقة، ربما ليست مقاسات النص بأحسن المصادر لاستخراج هذه الوحدة القياسية. الواقع أن المخطوطات العربية كلها تقريباً تستبقي آثار «المسطرة» على صفحاتها (والمسطرة، كما نعرف، عبارة عن جهاز بسيط لتسطير صفحة المخطوط للكتابة عن طريق كبس الخطوط على الورقة بالاستنسل [the stencil]، وهذا الأخير هو المسطرة بالذات). وإن المسطرة هي التي يحدّد إطارُها (أو حجمها) أبعادَ النص الهندسية. ولهذا السبب قد يعطينا قياسُ المسطرات أرقاماً أدقّ من أبعاد النصوص الواردة في الفهارس. بيد أنه لم ترد بعد مقاسات المسطرات، للأسف، ولا في فهرس واحد. ويمكن أن نعتبر ذلك تقصيراً في علم الفهرسة العربية.

وأخيراً، إن الإهمال لمقاسات الهوامش هو عيب آخر في الأسلوب المستعمل الآن لوصف صحيفة المخطوط العربي؛ إذ أنه يمنعنا من دراسة الفرضيّة حول المباديء الهندسية لرسم حجم النص على صفحة المخطوط.

وما كان في نيّتي أن أوفّق بين عناصر وصف صحيفة المخطوط الآنفة الذكر بقصد تكوين قواعد معينة للوراقة العربية ـ حقيقة كانت أم فرضيّة ـ، بل وددتُ

فقط أن أدلّ على أن الطريقة الراهنة لوصف صحيفة المخطوط تمكّننا من أن نظنّ، من جهةٍ، أن المخطوطات قد تضمّ بين دفتيها وحدةً قياسيةً خاصةً لقياس جميع أبعادها. ومن جهة أخرى، نفس الطريقة بالذات لا تسمح، مع الأسف، أن يعالج الباحث بإجراء تحليل تلك الأبعاد، لأنه لا تضمّ الفهارسُ المعلومات اللازمة لذلك (المتعلقة بمسطرات وهوامش مثلا) أو لأنه لا تؤمّن الفهارسُ دقّة المقاسات المطلوبة (فيما يتعلق بأبعاد ورقة المخطوط والنص عليها). ولا يبقى لنا إلّا أن نتأسف في هذا الصدد، لأن أكثرية المخطوطات العربية قد وُصفتْ في الفهارس، ولا شيء يساعد على ذلك الأمر المتأسف عليه. أما المخطوطات غير الموصوفة حتى الآن فيجوز أن نصحح ونحسن طريقة وصفها، ويجب الاعتناء بذلك دون تمهّلٍ ولا إبطاءٍ. وفي رأينا، لابد من الاعتناء بالعناصر المذكورة أعلاه وإدخالها في الفهارس الجديدة.

وفي ختام الكلام عن وصف صحيفة المخطوط أودّ أن ألاحظ أنّ استخراج القياس الخطّي التقليدي بواسطة المسافات ما بين أسطر النص هو عامل مهمّ في فحص القواعد الهندسية المطبَّقة في المخطوطات العربية عامّةً، وفي تحديد الميزات الفردية لكل مخطوط على وجه الخصوص. وإضافةً إلى ذلك، يكون استخراجه أيضاً شيئاً هامّا للميترولوجيا العربية التقليدية (أي علم القياس التاريخي) لأنه يمكّن من تحقيق كافة الوحدات القياسية الخطّية المجمّعة في كتب البحث بالأسلوب الجديد ـ أعني المخطوطات العربية المؤرّخة والتي نعرف أمكنة نسخها. ويمكّننا ذلك ـ أو يكلّفنا، على الأقلّ ـ من أن نرسم شيئاً فشيئاً خريطة استخدام أنواع الذراع المتعددة في البلدان الإسلامية المختلفة في القرون الوسطى.